(سجّان ٢)

(النهاية)

لبانه حسن تيشوري

مدقق لغوي : غناء

تيشوري

هل علينا أن نكتب مقدمة وأكثرنا يجتازها
من أجل أن يبحر في القصة الرئيسة ؟؟

إذاً هيّا نبدأ

عليّ أن أكون صادقاً بما فيه الكفاية لأطرح
إنشودتي مهما كانت نغماتها وكلماتها،
لما علينا أن نكذب فقط لنعيش على
هواهم ونحن نستطيع أن نكّون عالمنا
الخاص مهما بدى تافهاً وسخيفاً في أعين
الحاضرين،لا ألام على ما فعلت لست
أدري حتى الآن ما تهمتي، فقط لأنني
صادق ولأن مافي قلبي يخرج فوراً على

لساني،وكما قيل:؛ لا يلام المرء على حب أمه .
أدعى عز الدين أعمل في سجن كبير أحمل هموم السجناء كما أحمل ذكرى الراحلة أمي ،دعني أقص عليك بعضاً من هموم السجن ،لعلك ترى شيئاً منك فيهم .

لم يكن حلماً بل كان واقعاً آراه وقد صعد المنصة بعد أن هلوس بإسمه مراراً وقد علت شفتاه عبسة واضحة يكاد يبكي ويصرخ في لحظات متقطعة وفجأة رفض الخضوع ف ابتسم، ابتسم ابتسامة منتصر بعد أن صرخت روحه تلك الليلة بتفاصيل تعذيبه له خطوة خطوة، وكأنه أراد إخباري أنه ليس بنادم وأنه يريد أن تصل قصته لكلّ

الناس بعد إعدامه، ولكن كل طموحه أن تصل إليهم بإسمه الحقيقي وقصته الواقعية لا بإسمٍ مزيف وكلمات بعيدة عن واقع خطواته التي جعلته الجزار.

في القصص التي كانت ترويها لنا جداتنا كانت تحكي لنا عن شخص يحب شخص وعندما يفقده يحاول أن ينعيه بطريقة مرضية وفي النهاية تبدأ قصة عذاب هذا الشخص وانتظار اللقاء مع من أحب، وقصص آخرى تحدثت عن فتاة تأكل كل يوم خروفاً من قطيع والدها حتى وصل بها الحال إلى أكل أقدام الخيول وتركهم يعانون ...يال قصص الجدات ، أنها خيال فقط حتى رأيته وسمعت قصته ...

عاش محمود مع والده وأخيه بعد وفاة أمه في

منزل ريفي يتسرب منه الماء في الشتاء وتتشقق ضلوعه في الصيف فلا يقيهم برداً ولا حراً ،واستمرت معاناتهم حتى قدر أن يعمل برعاية خراف القرية فكان يخرج هو وأخوه نحو المرج يلهوان ويلعبان مع صغار القرية المجاورة ويهتمان بالخراف وعندما يعودان يأخذان مقابل صنيعهما بعض أرغفة الخبز والحليب والجبن وأحياناً بعضاً من المربيات التي كانت تعطيها لهم عجوز قديرة كبيرة في العمر على مشارف الموت تقف متأرجحة، كانت هذا السيدة دائماً ما تنبه محمود من ترك أخاه الصغير وحيد ، وتسمعه بعض الكلمات حول أكل لحوم البشر حتى يخاف ولا يدع أخاه(يال طيبة قلب تلك الجدة)،استمر الأمر مداراً حتى

مرضت الجدة وأصرت أن ترى محموداً قبل وفاتها ، خرج محمود إليها وقد تركتْ في قلبه الأثر الجميل ودخل غرفتها وجلس قرب السرير يهمس بأسمه ...: أنا محمود يا جدتي قد أتيت إليك كما طلبتي .

(تبسمت شفتاها برعشة) وقالت : محمود يا بنيَّ دعني ألمس يداك قبل أن أرحل .

وضع يداه في يدها وقال: أخبريني يا جدتي ماذا تريدين مني ؟

_ محمود يا صغيري أجدك في عيني كطفلي الذي فقدته عندما كان صغيراً ، حافظ على عهدك معي لا تدع أخاك يا محمود وإلا فقدته مثلما فقدنا ولدي .

- حاضر يا جدتي ، ولكن ! كيف فقدتم ولدك ؟ (كان محمود يدرك أنها تخبره بألمها

كي لا يقع في ذات الحفرة ويخسر عمره باحثاً عن أخيه)

- كان ولدي في ذات عمر أخيك تقريباً كان نشيط ماشاء الله سريع الحركة، ولشدة تعلقنا به كنا لا نرفض له طلب ولذكائه كان يرانا بعين فتى فطن فيطلب المستحيل والممكن برغبة منه أو دون، مرت الأيام وعلم بتعلقنا الشديد به فطلب منّا أن يخرج مع والده لرعي أغنام القرية لم نرفض فوالده موجود معه ، أستمر خروجه مع والده عدة شهور ولكن كنت ألاحظ تغيره ، فقررت أن أسأله فجاوب جواباً أرعبني : أراه كل يوم يقترب مني بهدوء حتى أصطدم بقربه ويهمس في أذني :تعال معي أنا أمانك(ثم يمسك يدي ويضغط على

أصابعي ويهمس مجدداً): سأعود غداً لأخذك إلى أمانك ،واستمر الأمر كذلك كل يوم ولكن منذ عدة أيام يأتي وقد تلطخت يداه بالدماء وتفوح منه رائحة الشواء ويهمس: أنت التالي . أحسست حينها برعشة وانتصب شعر رأسي واقفاً وأنا أنظر له وهو يصف هيئة ذاك الشخص قائلاً : أمي !! أتعلمين ؟ إنه رجل نحيل جداً ولديه أظافر طويلة صفراء وأسنان مكسورة بنية اللون، أظن أنه أصلع فهو لا يخلع القبعة أبداً ، عيناه محاطتان بالسواد الداكن ،وجسده شاحب أصفر وأما عن أذناه إحداهما مقطوعة ، أنه يشبه الشبح يرتدي سترة بنية طويلة حتى الساق، ويلبس بنطال أسود شاحب ملطخ ببقع داكنة، وحذائه

ممزق من الإمام ولولا أن الطين قد غطاه كله تقريباً لأخبرتك أنه بني ، أنني أفكر يا أمي ماذا يقصد بأمانك ؟ هل هو شيطان ؟ او ربما الموت ؟

ولدي محمود قد منعته من الخروج حينها حتى نتأكد من ذاك الشخص ؟ فعلمنا من أحد الأشخاص أنه مجنون يتجول كل فتراته باحثاً عن لقمة عيشه، ويلهو مع الأطفال من حين لآخر، ولكن !! قلب الأم دليلها.

كان ولدي ذا شعر أحمر وبشرة بيضاء خلق كأنه بياض الثلج وأمتلك عينان بنيتان كلون العسل وخدوده كوردة حمراء ، أنه يشبه أخاك تماماً كأنه خلق نسخة منه ، نحيل طويل ذا شعرٍ مجعد، ليتني كنت هناك معه عندما حدث ما حدث ، تناسينا أمر حديثه وتجاهل

والده الأمر بعد أن أخبروه أن ذاك الرجل مجنون يبوح بالترهات فقط ، وبعد فترة من إخراجنا ولدنا ليعاود رعي الأغنام مع والده اختفى، صرخ : اختفى!!؟

فأردفت: نعم لقد اختفى ،وبدأنا نبحث عنه ولكن دون جدوى، كنت أشعر بالضيق ولكنني لم أستمع لصوت قلبي ، كنت أنتظره لعله قد ضل الطريق أو خرج ليلهو مع أحد ، لكنه لم يعود ، مرت ثلاث ليالي ونحن ننتظر ونبحث في ذات الوقت ،حتى شاهدت والده قادمٌ وقد وضع كيساً كبيراً على ظهره، خرجت أهرول نحوه وقلبي يخبرني أنه ليس بخير ، وضع الكيس برفق على الأرض وقال : أن الله تعالى أعطانا أمانة والأن قدر أن يستردها، فصبراً جميل ،

صبراً جميل .

هجمت أمزق الكيس لأدهش من هول ما رأيت، رأيت ولدي داخل الكيس وقد قطع رأسه وأذناه وفصلت أطرافه عن جسده (شهقتْ وسالت دموعها وكأنها تذكرت اللحظة بدقة ، فسالت دموعي معها وأنا أرقبها وهي تشرح) ،لقد قطعه ،قطعه دون شفقة فصل أطرافه عن جسده ونزع أصابعه الجميلة، لقد شوه جسد طفلي ، لقد حطم حلمي ،لقد دمر عمري ، الويل له ..الويل له .. فلتصحبه لعناتي إينما حلت خطاه، فدم طفلي في عنقه حتى يمثل أمام الله تعالى، (وفجأة توقفت عن البكاء ونظرت بعينان ممتلئتان بالدموع) وأردفت: إياك وترك أخاك ، إن هذا الوحش هنا ، بعد

أن فعل فعلته غادر المنطقة وعاد هذا العام إليها، أنها نصيحتي لك إياك أن تدع أخاك. فهو كما أخبرونا يهاجم الأطفال أصحاب البشرة البيضاء والعيون البنية لأنهم يشبهون ولده.

-أعدك أنني سأعتني بأخي أعدك.

كانت الجدة على حق ،الآن بعد أن وجدوا أخاه وقد تبعثرت أطرافه وتشتت أشلاؤه وأصبح من المستحيل جمعها، شعرَ بما شعرتْ به حينما وجدت فقيدها وحال بينها وبينه العناق الأخير.

حمَّل محمود نفسه أمر فقدان أخيه وجعل نصب عينيه الإنتقام، وحينما قرَّر أن يبدأ مهمته تذكره وهو يحادثه: أخي لما يقول لي ذاك الرجل أنا أمانك؟ هل يعني أنه

سيأخذني إلى أمي ؟
هتف محمود قرب ضريح أخيه ناحباً : أرقد بسلام عزيزي, وسار تاركاً شيء من بعضه هناك.
فلندخل بالموضوع الأساسي حينما أستطاع محمود أن يستدل إلى عنوان ذاك المتشرد -كما يدعون- وطرق الباب بعد أن أستشعر رائحة العفن والدم ، فسمع صوت أقدام متثاقلة قد اقتربت وفتح الباب بهدوء وكأنه سلحفاة ، استجمع محمود قواه وضرب الباب بقدمه ،فوقع الرجل على الأرض متكوراً، نظر إليه محمود بعد أن تذكر كلام أخيه : رجل نحيل طويل ذا أسنان بنية وعيون غائرة محاطة بالسواد وإحدى أذناه مقطوعة، رائحته عفنة كأنه لا يستحم أبداً ووجهه

أصفر شاحب .

أمسك محمود سترة الرجل وصرخ : كيف أتى من قلبك تقطيع أجسادهم؟ ألم يؤلمك صراخهم ؟ ألم تلحظ عيونهم؟ كيف أستطعت أن تخرج أحشاؤهم؟ أنظر نحوي !! بالله عليك كيف أستطعت أن تنام بعد فعلتك؟ كيف أستطاع أن يهناء لك بال ويستطيب لك عيشٌ أخبرني ؟

أمسك الرجل وقد أحس بضعفه وربط يداه وقدماه ب أطراف السرير ، وبدأ مهمته بكل دمٍ بارد ، حمل سكيناً قد وجدها في مطبخ الرجل وبدت كأنها قد استخدمت حديثاً ، واقترب من جسده وقال : أتيتك وقد أمتلأ قلبي من هول فعلتك غضباً ، ووضعت بيني وبينك ثأراً لا ينجيك منه إلا موتك،

فبأي حق تقطع أجسادهم ؟ وبأي حق ترميها؟ أخبرني أيها المعتوه لعلك تخفف حكمي عنك فلا أؤذيك كما أذيتهم؟!

همس الرجل مطرباً: الفقر !!!

هتف محمود: الفقر ؟

أردف الرجل : حلمت يوماً بعائلة ،وكانت كل أحلامي تكوينها، وفي يومٍ مشؤوم ذهبت مع ولدي نحو الصحراء لنجمع حبات نبات القبار، كنا نبيعه من أجل أن نأكل ،استمر الأمر مراراً حتى رأيتهم، كانوا كثر لم أستطع عدهم ،هجموا علينا فأمسكوا ولدي وذبحوه أمام عيني، وبكل برودة قطعوا أطرافه وأخرجوا أشلاؤه ، وأنا مربوط في صارية قرب النار أنظر لهم وهم يشوون بضعتي ويتلذذون برائحة الدهن

الذي فاح من جسده ، وبدأوا يأكلون ، أنه لمنظر شنيع ، وحينها وجدت نفسي بينهم أعيش وعلى عاداتهم أتأقلم فبينما العالم عاش بسلام أنا كنت أعيش بغضب ،كانوا يختارون الصغار فلا يقتربون من الكبار، ويأكلون بنهم لا يشبهه وصف .

قاطعه محمود : وأنت؟ كيف أصبحت بهذه الشناعة؟ كيف استطعت أن تعيش ودم طفلٍ صغير يلطخ يدك.

- قرروا في يوم تركي ،فعدت أدراجي نحو عائلتي بعد أن أصبحت أشبههم، لأجد زوجتي قد رحلت وطفلي قتل وحالتي مزرية، حاولت أن أقاوم فلم أستطع ،كنت أخرج نحو المروج لأرقب الأغنام وهي ترعى فأرى أطفالاً يحومون حولها فتبدأ شهية

الذئب تخرج من داخلي ،ورغم محاولتي
التذلل للناس لإطعامي ،كنت أدخر كل ما
يقدموه لي وأبيعه لأشتري قطعة لحم لأسّدّ
فيها شهيتي فأوقف عقلي عن التفكير
بأذية أحد، حتى تغلب عقلي عليّ،
وأصبحت أريد أن أكل لحم بشرٍ فتي،
فكنت أبحث عن طفل يشبه ولدي بهيئته،
لم أكن أعلم لما لدي تلك الرغبة، فأجعله
يسير معي وفي هدوءٍ أنقض عليه فأسكت
صوته للأبد ، وأبدأ تشريحه ،ولكن !! عندما
أحاول تناول جزء منه تقف صورة طفلي
أمامي فيصرخ فؤادي : أيها الملعون .
عذبني كما تشاء فلم تكن هذه رغبتي يوماً
عذبني وخذ حقك وحق كل طفل أذيته، لكن
إياك أن تتحول لشخص جزار مثلي .

هتف محمود وقد سالت دموعه : بأي حق تقتلهم أيها اللعنة، لقد تلطخت يداك بعشرات الأطفال فقط لأن طفلك رحل أمامك، سأجعلك تندم وتشعر بما شعروا به ،سأجعلك تتمنى الموت فلا تجده ،وترقب ساعات خروج روحك من جسدك ،سأجعلك تندم ، سأطفىء نار قلبي وحريقه بك .

وخرج محمود يبحث عن أشياء كثيرة ، فمنها الحطب ومنها السكين الكبيرة والرفيعة ،وبهدوء أشعل النار في الموقد وجهز المشواة، وأجلس الرجل على الكرسي وربطه وبدأ بكل برودة دم تقطيعه، وبكل طعنة سكين يصرخ الرجل متألماً ، فيهتف محمود به ساخراً :أيؤلمك؟

أخبرني عن ألم قلبي إذاً وعن أخي الذي حرمت حتى من تقبيله.

بدأ محمود بتقطيع أصابع الرجل الرفيعة وشيها،وعندما ينتهي يدسها في فم الرجل غير مبالي ويصرخ : كلْ لعلك تشبع رغباتك . وانتقل لذراع الرجل دون أن يبالي بصراخه وكذلك فعل ، بعد أن طهاها دسها في ثغر الرجل المتألم ، لم يكن محمود من يفعل هذا لقد كان شخصاً آخر ،وانتقل لأذنه المتبقية وبعدها أصابع ساقه حتى فقد الرجل وعيه ،لكن محمود لم يكتفي فهجم يمزق قدما الرجل ويشويها ويدسها في فمه وقد تحول إلى جثة دون حراك ،لم يشعر محمود بالنشوة إلا بعد أن أخرج أحشاء الرجل وطهاها ووضعها بصحن أمام الرجل

المقطع ، وعندما أستطاع أن يشعر بنار قلبه قد أخمدت خرج نحو القرية يصرخ كالمجنون:: قتلت قاتل أخي، أستحق محمود لقب الجزار بعد أن شاهدت الشرطة ما فعل بالرجل ،وقبل أن يصل لحبل المشنقة عانقني بقوة وقال هامساً: إياك أن تضيع نصيحة عجوز من يدك ،أنت الخاسر في النهاية ، إدعو لي ولا تنسني ما حييت .

صديقي العزيز !!
خذ نفساً طويلاً قبيل أن تبدأ بخاطرتي التالية وأن كنت من هذا النوع عد لنفسك قليلاً فأصلحها لعلها تكون خيراً بدلاً من تكوين عالمٍ مليء بقبح أفعالنا،إذاً!!

فلنبدأ::

أنها ساذجة كسذاجة طفل صغير ضحك ثغره عندما رأى أمه ...
أنها قنوعة كقناعة فلاح فقير يريد أن يسكت معدته بقطعة خبز...
أنها جريئة كجراءة راقصة تدخل بين الرجال والويل لمن يلمسها ...
أنها ماكرة كمكر ثعلب يهاجم فريسته بعد أن أحست أنها معه بأمان...
إنها وإنها وإنها....
قليل وصفها وحلال عليك إقناع من حولك ببراعتها ،وعندما تدرك أنك قد خنت نفسك وأنت تتغزل بمحاسنها تقف صامتاً أمام قبح ملامحها .

لست جريء بما فيه الكفاية لاخبرك أنها تبدو كمسخ بشري، لكن فيها صفاة محببة شتى .

تلك هي قصتي الجديدة ،تحكي عن تلك الفتاة التي صنع منها والدها أنثى مثالية، وبالرغم من كونها تمتلك حواجباً كثيفة وعيوناً جاحظة وثغراً ممتلء كبيراً دائماً مشقوق الوسط وأنفاً مشوه ،تكاد تدهش من هول وثوقها بنفسها ، دعني اعقبك بالتفاصيل..

خلقت قمر في شهرها السابع ومنذ ولادتها بدأت الأمراض تهاجمها ، لم يدع والدها طبيباً إلا وعرضها عليه لكن لا آمل يرجى من حالتها، كانت قمر كلما كبرت تبدو اقبح وتتشوه ملامحها أكثر وأكثر، كان

يخاف أهلها أن يخرجوها لكي لا تتعرض للتنمر ، مقابل عدم أخراجها كان والدها يعلمها القراءة والكتابة وكذلك فنون الدفاع عن النفس، كان والدها يرى فيها شعاع نور لأنها حلمه الذي تحقق بعد انتظار طويل ، ولأن الله تعالى قدر أن يختبره بها فعوضه بها أيضاً، كانت قوية لا تؤذيها ضحكة من ثغر ناقص ، صلبة لا تكسرها همجية الناس المحيطة بها ، ذكية تعلم كيف تتخلص من العواقب ، لينة لا تعصرها المواقف ، ولكن لكل شيء له حد وخط أحمر لا يجب تجاوزه، تلك الفتاة كانت بأخلاقها قمر ولكن !!! بصمتها شيطان ...

يقال : لا تلهو بالنار ، ستحرقك..

هذا ما كان يخافه والدها ، أن يصل تنمر

الناس لأن يوقظوا الشيطان داخل قمر ،
فعمل جاهداً أن يثنيها عن أي فعلٍ خاطيء
فكان إينما تذهب يذهب معها فلا يدعها
دون مراقبة ،لأنها تتحول لوحشٍ ثائر عندما
تتخطى حدودها الحمراء،لكن مرضه حال
دون تلك اللحظة وفي يوم مشؤوم حملته
أقدامه هو وقمر إلى الحديقة ، وعندما أتعبه
المسير جلس ليستجمع قواه فجلست قربه
تنصت لترهات الناس المهرولين أمامهم،
فمنها الكلمات الطيبة ومنها القبيحة،لم
تكن قمر تبالي فكلها مجرد كلمات ،أحس
والدها بالرضا لأّن فتاته قوية فلا تهتم
لترهات الناس، وشعر أن قواه قد خارت
وعيونه قد أستطاب لها النوم فغرق في
ثبات عميق، وعندما أستفاق شاهد الموت

بعد أن حصد ثلاث شباب ورجل ، لنتحدث
عن التفاصيل عن لسان قمر طبعاً :.:؛
جلست مع والدي -كما أعتدنا- في
الحديقة المجاورة لمنزلنا،كان الجو لطيفٌ
حقاً ،عصافير وفراشات ورائحة المطر
والأزهار، وأناس كثر يجولون مع
أطفالهم ،وعشّاقٌ يسيرون يداً بيد ،منظر
جميل حقاً ، كنت أراقب دون أن أبالي بأحد
حتى توقف أمامي ستة أو سبعة شباب لا
أتذكر تماماً، وهمس أحدهم للآخر : عليك
بها .
لم أكن أفهم ما يقصد وحتى أنني لم أهتم
بحديثهم فعاد يسمعني صوته: لا بد أنها
حمقاء ،يبدو من منظرها أنها فريسة
سهلة ،فلا بد أنها لقبحها لا تثق بنفسها

ومنه سهلٌ عليك فعل ما تشاء .

شعرت ببعض التساؤل داخل عقلي : هل يعني ما يقول ؟فتى أحمق ,

أسترجعت ظهري نحو المقعد ونظرت نحو والدي وقد غطَّ في نوم عميق ،وأغمضت عيوني محاولة تقليده وعندما قررت أن أسافر ببحر أفكاري، شعرت بشيء يتحرك من تحتي، لم أبالي فلا بد أنه قط أو كلب وهنا أحسست أن فستاني يرفع ،نظرت مشدوهة أمامي واذا بشاب يمسك عصا طويلة ويرفع فستاني بها ،وأخر يحاول لمس أطرافي بيديه القذرتين، وقفت ونظرت نحوهما وقد شعرت ببركان قد بدأ يثور –ماذا تفعلان؟

– ألا تحبين أن يتغزل بقبحك أحد ؟

- ومن أنت لتقيمني يا هذا ؟

- أنا سيدك .

- سيد نفسك فقط ،إياك واللعب معي

أتفهم.

(كان والد قمر السيد الأول في المقاومة

والدفاع عن النفس لكن قمر طورت مهاراتها

فأصبحت تقتلع أطرافك وتمزقها دون أن

تبالي)

-كلا لا أفهم .

وأقترب نحوي محاولاً الاعتداء عليَّ

بالضرب ،أمسكت ذراعه ولويتها حتى

شعرت أنها ستكسر، فبدأ صراخه يتصاعد

تدريجياً محاولاً طلب المساعدة ،أصبحت

أنظر نحو والدي طالبة منه أن يردعني فلم

أرى أستجابة منه ،فلويتها حتى كسرت

وضربته فأصتطدم رأسه بالمقعد المجاور

ففغر وبدأ ينزف ومن فوره فقد وعيه، عاد

صديقه فهجم نحوي مطلقاً سباباً ولعنات،

نظرت نحو والدي ليرى ما أفعل لكن لم

يستجب لنداء أستغاثتي، تجمهر الناس

حولي وبدأ الصراخ فشعرت ببركاني أزداد

هيجانه، وعندما وصلت عصا الشاب الآخر

نحو ظهري ولوتني نحو الأمام، كان رأس

الشاب الثالث بيدي وقد كسرت

عنقه ،فأمسكت العصا بحنق وضربت بها

رأسه وجسده ليسقط نحو الأرض وقد نزف

رأسه وأنفه سوياً ، فتطوع رجل وصرخ :

أوقفوا هذا المسخ عن الحراك، أنها قاتلة !!

أتصلوا بالأسعاف والشرطة بسرعة .

ازدادت الحشود وبدأ أستعراض الإنقاذ، وأنا

أنظر نحو والدي لعله يستفيق فينظر ما
فعلت يداي ،ويهدئ من روع بركاني
فيكف عن الثوران وقبيل لحظات من نهوض
والدي ،هجم رجل طويل وضخم البنية
نحوي وبدأ يصفع وجهي وجسدي بحنق
حتى شعرت برأسي قد تفجر بين يديه،
ولأن والدي أخبرني عن مراكز الضعف
بدأت أضربه بكل قوتي ،فعاد نحو الخلف
مغمى عليه من الألم .

نهض والدي عندما عاد الرجل
للخلف ،وعندما سقط نظر لي والدي
وأمسك زراعي وقال: لقد لونتي بحبرك أربع
ورقات كفاكي ما صنعتي اليوم .

وضغط على يدي برفق وضمني نحو صدره.

كنت فتاة بعمر ال الخامسة والعشرين

وكانت كل مفاتني بجسدي النحيل والطويل وقوامه الممشوق ولكن وجهي حال دون الجمال فكنت أملك جسد أنثى ووجه مسخٍ بشري ،وكذلك كان بداخلي روح رجل قوي .
مالم يستطع أحدٌ فهمه لخصه والدي بدقيقة، فكانت نهايتي بين هذه الجدران ولخطورتي منعت حتى من الأصدقاء،
لست نادمة على ذلك ولو تكرر الأمر لفعلت هذا ،ثلاثة رجال ماتوا وواحد عاش لا ينجب أطفال ،الحياة قصيرة لما علينا أن ننعت الآخرين بعيوبهم وهم أدرى بها منا.

هل هذا يكفي ؟ لا أعتقد ذلك .

أنا اليوم أكتب بغرور لأن جميع نقادي أشادو

بحسن تصرفي حين نعتهم بخاطرتي
الأخيرة عندما خرجت من سجن الرجال نحو
سجن النساء بأمر يحيى فدعني لا أطيل
حديثي لأنني مللت الأنتظار، إليك التالي
فلا بد أن تبكيك أو تلمس جزء ضئيلاً من
قلبك مهما كان متحجر..
طلب يحيى مقابلتي فمثلت أمامه
بهيئتي المعتادة وهندامي المبعثر وشعري
الاشعث فنظري لي ساخراً : الويل لك ،لو
تخبر نفسك أنك تقف أمام قائدك فكر بها
قليلاً لعلك تهذب هندامك وتسرح شعرك
وتقف بإستعداد أكثر من هذا ،(وأكمل وهو
يقترب مني) اليوم سأطلب منك طلب
صغير يا عز الدين لكنه يطعن قلبي بسكين
(وأشار نحو يساره ضارباً صدره مراراً ،

أشرت إليه أن يخبرني فلا يتوقف عن الكلام)فأكمل : كنت أحب أمرأة جميلة في حينا لعلك تتذكرها - نيسان - تلك الطفلة التي كانت تلهو معنا كالفتيان وتركض أسرع منا، (أومأت برأسي أنني أتذكرها) حسناً لعلك ترفض الكلام حتى أنهي حديثي، نيسان سُجِنت منذ فترة قصيرة بتهمة قتل والدتها (نظرت نحوه بهلع)وقلت بصوت قوي : والدتها!!! أمجنونة هي ؟؟

فقاطعني بصوت هادر : إياك ونطق كلمة سوء نحوها جميعنا نعلم من هي نيسان ، إنها ابنة أبيها لم تكن يوماً ابنة أمها، جميعنا نعلم كم عانت حتى وصلت إلى سكينة قلبها ... إياك ثم إياك أن تشتم تلك

الطفلة أمامي (عدت صامتاً أومي‌ء برأسي بإيجاب) فقال وقد عاد صوته هادئ: لقد قتلوا والدتها وشوهوا ملامحها ، أريد منك أن تتقرب منها لتعلم منها التفاصيل لعلنا نستطيع مساعدتها في الخروج من السجن (ونظر سارحاً نحو نافذة غرفته المطلة على البحر) أنني أحبها أريدها أن تكون زوجتي وأم أطفالي .

قاطعته مستفهماً : لكنهم قالوا أنها قد سلمت نفسها وأخبرتهم أنها من فعلت هذا الأمر. (فعاد لصوته الهادر)وقال : من أخبرك قل لي ؟ أنهم يكذبون كيف لتلك الأنامل الفضة أن تعذب من ربتها أو لذاك الوجه السموح أن يبتسم لموت والدته .

فقلت بعد أن أنهكني حواره : أمرك سيدي

أفعل ما شئت سأقوم بهذا الأمر لأجلك.

-هل يكفيك شهرٌ واحد ؟

-نعم وهو كثير .

-إذاً سأرفع إسمك لنقلك مدة شهر لسجن النساء ولتعد لي بخبر يقين .

-حاضر سيدي .

-أخرج الآن ، ولكن ! إياك أن تنسى لما ذهبت إلى هناك .

مرت ثلاث ليالي منذ لقائي بيحيى ،وفي اليوم الرابع نقلنا إلى سجن النساء وبدأ العد التنازلي لمهمتي ،عينت في نوبات حرس صباحية وكأنهم يعلمون سبب دخولي ، لكن هذا الأمر لم يوقفني عن أداء مهمتي ، وفي إستراحة الغداء شاهدتها وهي تمسك صحنها بشرود ،وقد بدت

شاحبة اللون صفراء البشرة وعيناها منتفخة من كثرة البكاء، لقد تذكرتها عندما كانت طفلة صغيرة، فتلك العلامة المميزة التي سطعت على جبينها أدهشتني عندما شعرت أنها غارت تحت شعرها الطويل المنسدل على خدها ، وعندما أقتربت لتضع لها المسؤولة بعض الطعام هجمت إحدى المساجين نحوها فأبتعدت مسرعة فوقعت الأخرى على الأرض، أنسحبت نيسان بهدوء وقد أخذت فقط قطعة الخبز المخصصة لها ،وجلست في إحدى الزواية قرب سلة المهملات، وبدأت تأكل قطعة الخبز وقد أبحرت عيناها وأفكارها في عالمٍ آخر ، (فأقتربت منها تلك السجينة)

وصرخت :يا ذات الوجه القبيح واجهيني أن

أستطعي، لقد أحسنتي صنعاً فمكانك قرب القمامة يا قمامة السجن. (وضحكت بصوت أنثوي صاخب) لم تهمس نيسان بكلمة وبقيت صامتة تمضغ الخبز بهدوء ، وإذا بإحدى الطباخين تقترب منها وقد وضعت في طبقها بعض الطعام وقدمته لها ، أخذتْ الطبق من بين يديها وشكرتها وبدأتْ تأكل دون أن تلتفت لأحد ،شعرتُ أن الأمر لم ينتهي هنا فوقفتُ أنتظر لأراها وقد أقتربت وحملت طبق نيسان وسكبته على رأسها وقالت ساخرة : هكذا أفضل ! نهضتْ نيسان ولجمت دمعة قد حبستها داخل مقلتاها وخرجت من مقصورة الطعام نحو الحمام ، لاحظتها وقد قررت أن تخرج خلفها فوقفت أمامها وصرخت بها : هذا

يكفي ، لقد عنفتها بما فيه الكفاية .
فضحكت كضحكة راقصة وقالت : لما أهي
عشيقتك؟ - أيتها المعتوهة سأضعك
بسجنٍ انفرادي كي تتأدبي.
-وماذا فعلت ؟ أنها لا تبالي بأحد ، منذ
قدومها والجميع يستصغرونها ،بالله عليك
أنظر لها هل تستحق أن يدافع أحدٌ عنها .
-لقد نبهتك، أسمعوني جميعاً من يتعرض
لتلك السجينة مرة آخرى سأسجنه
بالانفرادية مدة شهر ليتعلم .
خرجتُ خلفها وأنتظرتها خارجاً أمام قاعة
الحمام وبالكاد سمعت صوتها يصدر من
الداخل، كان صوت بكاء أشبه بنواء قط قد
قطع ذيله، وعندما خرجت وقفت أمامها
مقاطعاً سيرها، لكنها نظرت لي ببلاهة

وسارت دون أن تنظر نحوي ، فصرخت :
نيسان هلَّ توقفتي؟
(نظرت نحوي بضعف وأغمضت عيناها لتسيل دموعها على وجنتاها.)فأردفت : أنا عز الدين أتتذكرينني؟ (وجدتها وقد ركضت نحوي وضمتني وبدأت تبكي وتشهق وكأن آلمها الكبير الذي حبسته قدر أن يخرج في هذه اللحظة من قلبها على شكل دموع ، كنت كالأبله أقف ناظراً نحو الباب وقد وضعت إحدى الحراث كي لا يدخل أحد ، وعندما استجمعت قواها همست في أذني : شكراً لك ، وسارت دون أن تلتفت لي مرة آخرى)
مرت عدة أيام وأنا أنتظر ردة فعل من إحدى السجينات لكنهن أبين أن يحدثن مشاكلاً

معها ، ولكن نيسان بقيت وحيدة كعادتها تجلس قرب القمامة فتأكل طعامها وتخرج نحو ساحة السجن ،فتجلس وحيدة أيضاً في إحدى الزواية، هاربةً من نفسها وتاركةً العالم ينعتها بالجبانة .

مر الأسبوع الأول وأنا احاول أن أخذ بعض التفاصيل منها وفي حين أنني شاهدت قمر وتقربت منها وأصدرت خاطرةً عنها إلا أنَّ ضغط يحيى عليّ وتحفظ نيسان بدأ يربكني، فقررتُ أنْ أبدأ مهمتي وكفاني تقاعس عن أدائها .

كانت تجلس على إحدى الأرصفة تحت أشعة الشمس وتهمس بأغنيةٍ ربما أو لحنٍ خرجَ من شفتاها صافياً عذباً ،فأقتربت منها – أتسمحين لي بالجلوس ؟ (نظرت

نحوي وقد لاحظت أن أشعة الشمس قد سرقتْ بصرها) - تفضل !!
-أنا عز الدين ؟ -أجل ،أجل .. عز الدين !
-لقد أرسلني إليك يحيى ، ويأمل أن تخبريني بقصتك لعلنا نستطيع مساعدتك .
(سمعتها وقد ضحكَ ثغرها ببلاها وبدأتْ دموعها تسيل) وهمستْ بصوتٍ متقطع :
ومن يساعدُ عقلي من تخبط أفكاره، من يساعده في كبحِ صراعاته، من يضمدُ جراحَ قلبي ،ويسكن نزيفه ولو لبرهة، أخبرني بالله عليك كيف لك أن تقف أمامَ نفسك فتسكتها وأنت تدرك أنها تخبرك أنك أبشع ما أنجبتْ البشرية وأقبح ما صنعت،
ساعدني في تخليصي من عيوبي وأخبرني أنني أستطيع النهوض دون أن أذم أو أُلام

لأنني قبيحة كما يقولون، عليك أن تقنع
أحلامي أنني سليمة العقل بينما كل
أحلامي أخاف منها لأنها تعكس صورتي
بالمرآة، أستحلفك الله خلصني من عذابي
وعجل حكمي بالإعدام. (شعرت بقسوة ما
عانته حتى وصلت لهذا الانهيار، رأيتها
وقد أنسحبت ببطء وهي تحاول أن
تتماسك وأن تدرك أين تسير فنهضت
نحوها) -عليك أن تساعديني لأساعدك
(تكلمتُ بصوتٍ غاضب)
- أمك ! السيدة زينب كانت أماً للجميع
(بدأ قلبي يخفق بقوة) ، شيء ما كان
يربطني بها ، كانت عظيمة أراها كأم
لي ،رحمها الله كم كنت أتمنى أن أصبح
مثلها ،كانت تفخر دائماً بِكما وتضعك في

مقدمة فخرها ،غداً عز الدين سيصبح ضابطاً
مسؤلاً في المدينة ويرفع رأسي عالياً ،
(وكأنها عزفت على وتدي الحساس)كنت
اتمنى من كل قلبي أن تفخر بي والدتي
كما تفعل والدتك ، وبالرغم من أنها لم تكن
أمي كانت تهمس دائماً بإذني(إيقظي
جمالك الداخلي وإياك أن تنظري
للخارجي، سيعوضك الله بأفضله إذا بقيتي
قنوعة بما أعطاكي) كانت تدعمني أنا
الأخرى دون مقابل ،فقط ضمة بسيطة كان
هذا ما تريده دائماً ، أتعلم !! كنت أدع
الجموع وأهرب نحوها وهي تساعد الناس ،
كان أطفال الحي يحبونها جداً ، رحمها الله
وأسكنها فسيح جنانه كانت شخصاً في
داخله ألف شخص . (لاحظت أنها قد

طرقت ذكراي بمطرقة من حديد ففتتها،
أمسكت يدي) وقالت : دعني أخبرك
بفعلتي بالتفصيل ،وسأخبرك لأنك ابن أمي
زينب ، وليس من أجل أن تساعدني .
جلسنا على الرصيف وبدأت تنسج خيوطها
بإتقان حتى النهاية المأسوية::
كانوا ينعتونني بالجبانة وكنت أهجر
مجلسهم كي لا يهاجموني، وضعت كل
احتمالاتي وقررت أن أعيش صامتة دون أن
أتكلم بما أعاني، فكانت أمي تؤنبني
لأنني أبدو قبيحة وأقف عائقاً في تزويج
أخواتي ،ومرة تتهمني بتقصيري في أداء
واجباتي، كنت خادمة أعمل لمجرد أنني
ابنة أبي ،ابنة الزوجة الأولى، قل ما شئت
في حقي لكن طفح الكيل بهم ،أرى الناس

تتغزل ببناتها وتتهامس إلا أمي، الضابط والدكتور والمهندس جميعهم تقدموا لخطبة أخواتي إلا أنا، كنت كالمزهرية المكسورة وكما أخبرتني أمي" أين أنت من جمال أخواتك"، لقد صدقت فلكل واحدة منهن مفاتناً شتى فلا يضاهيها عودي النحيل ولا جبيني العالي ولا عيوني البنية الكبيرة، كنت أتجرد من ثقتي بنفسي ويوماً بعد يوم أصبحت أجلس على سريري باكية من تصرفاتها وأشكو أمري إلى الله لعله يساعدني، قررت أن أكمل دراستي فمنعتني، وجعلتني أعمل في عدة أماكن من أجل أن أصرف على أخواتي ليكملن تعليمهن ،واقنعت والدي بأنني أنا من طلبت الخروج من المدرسة لكي أعمل

فأساعده ، لم أكن أستطيع مواجهتها فلقد طبعت ذكرى موحشة في قلبي ،حينما قررت ذات يوم التمرد عليها ضربتني حتى فغرت رأسي وأدمت جسدي وربطت قدماي بقدم السرير ويداي كذلك ومنعت عني الطعام لأسبوعين وأصبحت تقدم لي الماء لالعقه ككلبة متشردة عن الأرض ،ولقسوتها تجلس أمامي فتأكل وتشرب وهي تضحك، وفي مدات عديدة خلال تلك الأيام تدخل أخواتي فتهجمن عليّ فتضربنني بقسوة ويمزقن الثوب الذي أرتديه، وفي اليوم التالي يأتين لي بثوبٍ لأمي ويلبسنني أياه قسراً ،وكما تعلم والدي رجل يعمل على شاحنة يتجول تقريباً كل المدينة مرغماً فكان لا يعود إلا

خلال أسبوعين أو ثلاث ،ولحسن حظهن عاد والدي بعد أسبوعين من حبسي ،كنت أعمل مع أمك في بعض الأعمال فكانت ترأف بحالي وتضمد جراحي وتعلمني الطريقة الصحيحة في بعض الأمور، وعندما أعود إلى البيت أجد نفسي منهارة ورغم كل هذا الضغط الكبير ألقى المنزل قد انتظرني لأرتبه وأنظفه وأغسل صحونه وملابسه، وهي نائمة مرتاحة لا يهمها شيئاً كان ، نيسان ككذبة لطخت أيام هذا الشهر كنت كنسمة صيفية رقيقة لكن فيها من القسوة ما يمكن أن يجعلها عاصفة، ولأنني لا أشبه سندريلا ولن أشبهها بجمالها وحسنها انفجر هذا اللغم الكمين بمن دهس عليه ففتته، عليك ألا تحكم على

الإنسان من منظور واحد ،فتلك الضحكة البريئة قد تخفي خلفها بركان ثائر، أياك أن تضغط الزناد قد ينفجر بك بأي وقت كان ، جهزت نفسي لأضمد جراحي وأقبل ثرى والدتي ووالدتك ،وفي الليل جهزت حبالاً طويلة فربطت مروى وسيلين بأسرتهم بإحكام ، ووضعت في ثغورهن ضمادة وأحكمت ربطهن كي لا يصرخن،وأخذت مسدس والدي ودخلت غرفتها كانت تغط في ثبات عميق ،ربطها كذلك الأمر وضغط الزناد على قدمها لتنفجر الرصاصة فيها فتحاول النهوض والصراخ مزعورة ، نظرت نحوها ونار قلبي بدأت تشتعل وبأظافري الطويلة بدأت أنهش وجهها وجسدها وهي تحاول الصراخ ووقفت أمامها بعد أن

أحسست بالراحة، وقلت بصوت أتعبته الحياة:: هذا هو جزاء الإساءة. و(ضغطت الزناد نحو رأسها كانت جهة الرصاصة).
لازلت أتذكر كيف كان شعوري وكيف أصبح بعد أن هدأت أعصابي وشاهد والدي فعلتي، نعم لقد تجردت من شخصيتي أمام كم الإهانات والتصغير، أمام كبح رغبتي بالصراخ في حضن محبب ،والبكاء ليضمني شخص أشعر بالأمان معه،أصبحت شخص آخر ورغم محاولتي ألا أتغير وجدت أن التغير هو الحل ، أنني حقاً أعيش تلك اللحظة كل يوم وأهمس بأسمها كل دقيقة في عقلي فيصرخ ::بئس الإبنة أنت.
هذه هي عبارة والدي قبيل تسليمي للشرطة، تخيل يا عز الدين عندما كنت

أحارب للبقاء كان والدي مختفي وعندما تجردت من هزيمتي ظهر والدي أمامي فجأة،نادمة حقاً فقد كان الهرب أفضل من البقاء ,اذهب إلى يحيى وأخبره أنه كان عليه أن يبحث عن نيسان في أذقة الحي والطرقات والشوارع فقد أصبحت كذبة ك أسمي.

عدت أدراجي نحو يحيى لأخبره ،لكنه أبى تصديقي فسجلت رقم إحدى السجانات هناك وطلبت منها أن تحضر نيسان لتكلمه، رأيته وقد هزمته لحظة سماعه صوتها وأبكته قصتها فهمس:: أكذبي لأجلي، سأحميكي. وكأنها أخبرته : ومن يحميني من نفسي . همس بغصة: أنا سأحميكي. فأردفت : نلتقي يوم الحساب ,وأغلقت

السماعة في وجهه ،بقيت نيسان ذكرى تبكي يحيى وتبكيني فحتى بعد إعدامها حاوطتنا ذكراها بضحكها ومزاحها وصراخها، وعندما دفنوها شعرت أن يحيى قد دفن فؤاده معها فأمسك بالتربة وقبلها وهمس : نيسان يا كذبة حملت أجمل المعاني في حياتي فرحلت كنسمة صيف هنية.

الآن أريد أن أخبرك أنني أستجمع أوراقي ل أرحل، أتمنى بقلب طيب أن أكون أسعدتك بخواطري، مهلاً صديقي!! لما لا تسألني لما عليك الرحيل الآن؟ حسناً سأجيب دون أن تسأل .

وهمستْ بقلبٍ مضطربٍ:: أكرهك
أنه لأمر صعبٌ أن تستفيق كل يوم على
همساتها وأنت من سلبتها الحياة،
اللعنة.
إسمي أسماعيل وصلت لهذا العمر وأنا
في قمة بهجتي ورغم ما كنت أملكه وأملكه
كان هناك شوق داخلي للماضي
جميعنا نهرب من ماضينا أحياناً لكن أنا
كنت ممن يتمنى العودة إليه لاضمد جرحاً
قديماً ، وبالرغم من أنني متزوج من
شخصية فريدة لازلت أشعر بحر الصيف
وبرد الشتاء ، وبين تلك الكماليات التي
حرم منها أخي ،كنت رجلاً غاضباً يضرب
دون شفقة أو رحمة، كانت زوجتي هدفي

في كل مكان أجد قلة تقدير لي فيه ،فكنت
أعود إليها فأنهال بالضرب على جسدها
الرقيق حتى يصبح أزرق اللون وعندما أهدأ
أجد نفسي بين احضانها ابكي وأطلب
السماح والمغفرة، وأما عنها هي .... كانت
لا تهمس بكلمة إطلاقاً باردة كقطعة ثلج
وساكنة ك أثاث المنزل ، أعلم أنه تعنيف
وأعلم أنني حثالة بما أفعل بها لكن ...
كنت أبحث عن أمي فيها فلم أجدها تلك
الجسورة الصنديدة صاحبة الضحكة الخلابة
والهمسات الشيقة، أبحث عن يديها
القويتان وقدميها الرفيعتان وقوامها
الممشوق الطويل ، لم أجدها ...
عيناها لوزيتان خضراء وضحكتها مثقاب
لقلب مطرب وشعرها أشقر طويل يكاد

يلامس الأرض من طوله وقوامها سلس

قصير أنها فاتنة ،فتنت قلبي من أول لقاء

وجعلتني حبيسها للأبد.

ولأن السعادة لا تدوم فقدتها، لا أستطيع

تصديق كلامهم ولا حتى مجارات

تصرفاتهم، وعندما تنهدتْ بين زراعي

مفارقةً الحياة همستْ : أكرهك.

ولأنها عشق عظيم بالنسبة لي كان والدها

مفرقنا.

تلك غايتي ومطلبي مجرد أيام قليلة

جعلتني أتقرب من قاتل زوجتي وأهاجمه

بذات الطريقة التي هاجمني بها، وعندما

كان عز الدين يعمل في الجريدة كنت

كالنساس أتخفى خلف الجدران والقضبان

لأشمشم بعض التفاصيل عن والد زوجتي،

وعندما وجدته كان وضع عز الدين يتحسن
وأموره تتطور وأصبح لديه جمهوراً يتمنى أن
تصدر خواطره بالدقائق فضلاً عن نقاد شتى
يتمنون أن ينهو مسيرته لغرورهم، وعندما
قررت أن أنهي مهمتي أنا الآخر صارحت
عز الدين وأخبرته أنني مقدم على سفر
طويل نهايته يمكن أن تودي بحياتي ،لم
تقنعه كلماتي وبدأ يهتف بإستمرار::
أمجنون أنت؟
وكأنه يعلم بفعلتي المقدم عليها، وبينما
بدأ يتململ من عمله وأحسسته يريد أن
يستقيل بعد حادثة نيسان ،قدمت دوري
الأخير في هذه المسرحية ،كالموت كنت
أحوم حول والد زوجتي وعندما وجدت الوقت
المناسب هجمت عليه مخلصاً نفسي من

لومها ،تماماً بذات الطريقة التي قتلَ بها
زوجتي، بالسم الذي تجرعتْه محاولاً قتلي
به فقط لكي يأخذ ثروتي ،إنه الطمع،
طمعه قتل إبنته وجعلني بعدها وحيد ،فلم
أستطع أسكات صوتها داخل عقلي وهي
تصرخ:: دعني أعيش فقط أشرب منه
القليل وارح قلبك وارحني, وعندما بدأت
بضربها بعد تلك الكلمات أمسكت القدح
من يدي وقد ذاقت طعم الدم قبل شربه
ورشفته بجرعة واحدة ،وعندما أستوطن في
جسدها همست :: أكرهك.
تلك الاحداث بعد أن أحضر لها والدها
الكأس وقد ملأه بالسم وقدمه لها مخبراً
إياها أن تسقيني منه ،لم أستطع أن
أصمت فقدمت بلاغاً بإسمه وتم سجنه

بتهمة قتلها، للآن آرى وجهه الشاحب بعد أن شاهد فتاته وهي مرمية على الأرض وقد خرج الزبد من ثغرها وغارت عيناها في الخلاء، وأنا أنظر كتمثال بشري لا يكاد يهمس أو يتحرك ،حينها شعرت بحاجتي لضمة عز الدين أو لضرب هيفاء وإين أجد هيفاء وأنا بحاجة إليها ؟،أين أهرب منها سوى إليها؟

ومنذ تلك الحادثة وأنا أهلوس بخيالها إينما أنظر وأتمنى لو أنها قربي الآن ،وأهرب راكضاً نحو المطبخ باحثاً عنها وعندما لا أجدها أتصل بهاتفها مراراً فأجده مغلق، وعندما أشعر أن عقلي يتخبط أخرج نحو قبرها ف أبكي بحسرة وأشكو بعدها إليها وذاك الفراغ الذي خلفته عندما رحلت.

وعندما حسمت أمري خرجت إلى يحيى وأخبرته عن عزالدين وذكرته بمن أكون ،فكان ترحيبه صاخب وأبتسامته صادقة وكأنما عز الدين يترك الأثر الطيب خلفه كما علمته والدتي، فخرج يحيى نحو البريد طالباً نقل عز الدين إليه ولشبهنا الكبير خرجت لعز الدين بهيئتي التي هرب منها فوافق على ما طلبت دون أعتراض، وعندما بدأت مهمتي كان يحيى يعلم من منا إسماعيل ومن منا عز الدين ورغم هذا بقي صامتاً لأجل صديقه المقرب، وعندما فعلت ما فعلت ضربني بقوة كادت أن تميتني، وزج بي في السجن وبعث شخص نحو عز الدين ليخرج بعد سويعات قليلة بجسده الهزيل وصوته المبحوح وعرقه المتساقط وقد بدأ

التعب يتسلل إليه،ويصرخ بي :: لما؟ ألم
يكفيك قتل أمي ؟لما؟
كانت حاجتي تقتلني فبعيني كنت
المتكامل الذي تحلم به جميع السيدات
وكذلك الملك الذي يستحق ولاية
رعيته ،وعندما شعر عز الدين بنرجسيتي
خرج من حياتي ليصبح ذكرى هو الآخر، لا
أعلم ما عقوبتي للآن أشعر بالإطراب
وأبحث عن طيف هيفاء وهو يحاوطني،
اليوم بعد أن رحل أخي تاركاً إياي للأبد
ورحلت معه زوجتي مخلفةً فراغاً رهيباً
أعيش على المسكنات وأعتقد أن أكثر
الممرضين يحاولون تنويمي لينهو الحديث
معي فوراً ،زارني أخي منذ عدة أيام
وبالرغم من أخباره لي بأنه قد استقال وعاد

لدار أمي وتزوج من جارتنا التي كان يحبها،
سألته بلهفة:: هل تزورك هيفاء ؟هل تسأل
عني؟
فكان يخبرني :: أنها تنتظرك ..لقد أخبرتني
أنها ستنتظرك للأبد.
أنه يلهو معي كعادته ،فأنا مدرك أن هيفاء
ماتت ،وروحها كل ليلة تزور حلمي
فتحملني ذنبها حتى مماتي .

نشرت تلك الخاطرة وفي قلبي حرقة
على إسماعيل، ولأنني رفضت ترتيبها
فباتت مبعثرة، وكانت هناك النهاية .

وقبل ختام قصتي والنهاية، جلست
أسترجع عمري الطويل وأنا أفكر بكل ما

حدث ،إن كان يحيى ومن فقد وإن كان إسماعيل وما فعل ،وكذلك نيسان ويوسف ومحمود وسليم ... وغيرهم ، كنت أبحث عن كل شخص في قصته وعن كسرة نفسه التي خاضها وحيد ،وأرتب حقيبتي بعد أن هلك أملي بالحياة ،وهذه المرة أرحل رغبة مني لا هرباً من إسماعيل ولا طلباً بالنقل من يحيى، أرحل كروحٍ أتعبتها المشقة وأرادت أن ترتاح ،نحو دارنا وعلى سريري تلك هي وجهتي ، فالذكريات الجميلة لا بد أن تعاد ،نحو أمي إلى السيدة زينب الملكة الصادقة التي علمتنا أن نواجه أنفسنا ولا نخاف لأقبل ثراها وأدعو لها بالمغفرة ،وأعيش مع زوجتي فتون بعد ما خضته وحيد دون صديق أو سند.

... النهاية ...